النموذج الحواري الحضاري الإسلامي في ظل ثلاثية: الحوار، التعارف، التقوى. مقاربة تحليلية لأهمية الحوار في القرآن الكريم

الأستاذة سليمان ملوكي

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يا أيّها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[1].

مقدمة:

تشكل الحاجة إلى التواصل والتعايش بين الشعوب والأمم أهمية بالغة في التأسيس للبعد الإنساني والروحي وحتى السياسي في العلاقات بين الأفراد والشعوب والدول سواء على المستوى الرسمي (الحكومي) أو على المستوى الشعبي العادي.

تهدف هذه الورقة أو المداخلة إلى تأسيس مبدأ الحوار الإنساني بين الإنسان وأخيه الإنسان وبين الشعوب جمعاء، لتأسيس مجتمع دولي منظم يخدم بعضه البعض يتجاوز الخصوصيات الثقافية والفكرية والأيديولوجية.

كما تهدف هذه الورقة إلى تأسيس منطق المصلحة الإنسانية المشروعة المادية والمعنوية، والتي لا تتحقق إلا من خلال التعاون المشترك الشفاف.

كما تهدف هذه الورقة إلى تأسيس مبدأ الحوار كقيمة حضارية بين الشعوب من حيث:

1- تأسيس مبدأ التعارف الإنساني.

2- تأسيس منطق التعايش الإنساني.

3- تحقيق المصلحة العامة الإنسانية.

4- تأسيس مبدأ المشاركة الإنسانية لردع المخاطر المختلفة المتوقعة على الإنسانية.

5- تحليل معيار التمايز بين الشعوب ألا وهو **التقوى**.

الإشكالية:

ما هي خصائص النموذج الحواري الإسلامي ؟

1 - سورة الحجرات، الآية رقم 13.

كيف يؤثر في عمليات التعرف الإنساني ؟

كيف يصنع منطق التعايش، وكيف يؤسس مبدأ المشاركة الإنسانية لردع المخاطر المختلفة المتوقعة على الإنسانية ؟

وما هي أهم العوائق التي تقف في وجه تأثيراته في صناعة السلم والأمن الإنسانيين ؟

مرادفات ومعاني الحوار في القرآن الكريم:

الحوار = المحاجة أو المقارعة أو المناقشة بإقامة الدليل.

يقول الله عز وجلّ: ﴿ألم ترى إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحي ويميت قال أنا أحي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [2].

الحوار = الحوار الأممي أو حوار الحضارات أو حوار الأديان أو حوار الثقافات.

يقول الله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ [3].

الحوار = بيان الحقيقة والتعريف بماهية الأشياء.

يقول الله عز وجلّ في محكم تنزيله: ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا﴾ [4].

الحوار = المجادلة أي المناقشة والشكوى لرفع الظلم وطلب النصرة بين طرفي نواة المجتمع ونعني بذلك الأسرة (بين الرجل والمرأة).

الفائدة والميزة: قيمة حوارية اجتماعية لإدارة الحياة الزوجية والأسرية.

يقول الله تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾ [5].

يأتي الحوار في الإسلام (القرآن الكريم) كقيمة حضارية باعتباره خطابا موجها لعامة الناس ونعني بهم معمري هذه الأرض أفرادا كانوا أم شعوبا قبائل أو جماعات أم وحدات سياسية واجتماعية (دول).

لكنه جعل الفارق بين هؤلاء جميعا هو التقوى والإيمان بالله تعالى وبرسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

2 – سورة البقرة، الآية رقم 258.
3 – سورة آل عمران، الآية رقم 64.
4 – سورة الكهف، الآية رقم 37.
5 – سورة المجادلة، الآية رقم 1.

الحوار ومنطق التعارف:

إن الحوار في القرآن الكريم من حيث هو قيمة حضارية هو دعوى صادقة وجادة لتوجيه الخطاب الرباني للمسلمين وللناس جميعا وغيرهم من باقي أهل الذمة أو باقي الديانات السماوية الأخرى ونقصد بهم الديانة المسيحية والديانة اليهودية والغرض الأساسي من ذلك هو إجماع أهل الدين والتدين على كلمة سواء أي إعلاء كلمة الله. كلمة حق وصدق وعدلا وفي ذلك يقول عز وجلّ: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمين﴾[6].

مميزات الحوار الحضاري الإسلامي:

• يأخذ الحوار في القرآن الكريم طابع العلاقة القدسية، بمعنى أنه من عند الخالق تبارك وتعالى نحو جميع مخلوقاته إذ يتجه به نحو: الإنسان، الجن الملائكة، الشيطان.

﴿يا أيّها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾[7].

﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾[8].

• يتميز الخطاب أو الحوار في القرآن الكريم بتوجيه للإنسان وللإنسانية جمعاء نحو الهداية والاستقامة في الحياة من خلال رسمه لمعالم الوجود الإنساني، وكذلك من خلال تحديده لضوابط سلوكه داخل المجتمع.

• يرتبط الحوار في القرآن الكريم بتأسيس لثقافة التواصل وبإرادة الخير العام المحققة للمصلحة المشتركة للإنسانية قاطبة.

• يأتي الحوار في القرآن الكريم موجها للإنسان من تحديده لمصيره في هذه الحياة.

﴿يا أيّها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه﴾[9].

إن التعارف يقتضي التواصل بين الإنسان المسلم وغيره من سائر البشر فالتعارف يحدث التفاعل والتفاهم في حدود الاحترام المتبادل للخصوصيات الثقافية والنفسية والتاريخية والاجتماعية بل وحتى السياسية منها.

إن الملاحظ اليوم في عصرنا هذا هو أن الإنسانية لا تحتكم إلى قوى العقل أو المنطق والإنسانية بقدر ما هي موجهة بمنطق السيطرة السياسية، وكذلك الإعلامية، باعتبار أن واقع السياسة تحدده المصلحة المادية أو القومية أو المصلحة الوطنية. فالناس لا يجتمعون حول المصلحة العامة

6 – سورة آل عمران، الآية رقم 64.
7 – سورة الانفطار، الآية رقم 06.
8 – سورة الرحمن، الآية رقم 33.
9 – سورة الانشقاق، الآية رقم 6.

أو المشتركة لأنهم مندفعون من حيث سلوكهم السياسي بدوافع شخصية تعبر بشكل واضح عن المصلحة الذاتية في مفهومها الطبيعي أي هي معبرة عن أنانية مفرطة.

إن هذا المنطق السياسي – الخاطئ طبعا – لا يخدم الأفراد ولا الشعوب ولا الحكومات ولا الدول بل ولا الإنسانية عموما، طالما أنه مؤسس على ثقافة غير حوارية هي ثقافة اقصائية جانحة يغيب فيها البعد الأخلاقي والاستراتيجي التواصلي. فالطرف الضعيف في العلاقة التواصلية مقصى فيها.

إنه لا بديل لحل هذه المعضلة أو المشكلة إلا بتأسيس منطق حواري واضح المعالم يقوم أساسا على سيادة ثقافة خاصة بالحوار والتواصل لتحقيق التفاهم بين أطراف العلاقة الحوارية.

إن الحوار في القرآن الكريم يأتي دوما جامعا وشاملا وموجها لمصلحة الأفراد، وكذلك مصالح الجماعات، وكذلك لمصالح الشعوب والدول، وذلك لأجل تحقيق هدف سام وجليل إلا وهو تحقيق المثل أو القيم بدءا من عبادة الخالق تبارك وتعالى إلى التركيز على قيم الخير والعدل والمساواة وبناء الحضارة وتحقيق المصلحة البشرية سواء أكانت مادية أو معنوية.

الحوار في القرآن الكريم ومنطق التعايش الإنساني:

إن التعايش الإنساني الأخوي جد ضروري بين البشر جميعا وكذلك بين المجموعات الدولية أو الدول سواء أكانت المتقدمة منها أم المتخلفة أو تلك التي هي سائرة في طريق النمو. ذلك أن التعايش الإنساني يقتضي التفاهم والتواصل، فلا تواصل بدون حوار وبدون إرادة جادة في ذلك. هذه الإرادة تتجاوز – ولو بشكل نسبي – الخصوصيات الثقافية والعرقية و اللغوية تحقيقا لمصلحة الجميع.

إن التعايش الأخوي يقصي الصراع أو فلنقل يهذبه ويخفف من وطأته لأن محرك السلوك الصراعي هو الأنانية أو الغريزة الهادفة للحفاظ على المصالح المادية (القومية) أو الوطنية للشعوب بفعل سيادة الدولة.

إن الإسلام يضع الحوار كقاعدة أو ضابط أخلاقي يوجه السلوك الإنساني ما يضعه كآلية شرعية لتهذيب الصراع البشري من مستويات متعددة بدءا من مستوى صراع الإنسان نحو نفسه، ثم نحو أخيه الإنسان إلى صراع الجماعة مع الجماعة إلى صراع الدولة فيما بينها.

الحوار والمشاركة الإنسانية لردع المخاطر المختلفة المتوقعة على الإنسانية وتحقيق المصلحة العامة:

إن إنسانية اليوم لتتخبط في مشاكل مختلفة سواء على المستوى المحلي أو على المستوى الدولي.

وإذا ما أردنا أن ندرج هذه المشاكل قلنا: أنها ناشئة عن سيادة الحضارة الغربية الحديثة. هذه الحضارة التي بنيت على إنسان مجهول المعالم حسب رأي الكسيس كاريل في كتابه الإنسان «ذلك المجهول».

إن الطابع الصناعي أو الربحي المحض للحضارة الإنسانية اليوم جعل الأمم تدخل في سياقها دون أن تبرز خصوصياتها الحضارية.

إن إنسانية اليوم تتخبط في الكثير من المشاكل سواء على المستوى السياسي أو المستوى الثقافي أو على المستوى الاقتصادي، وهذه الطبيعة المتعددة للمشكلات هي التي تجعلنا نقول أن المشكلة مشكلة حضارة.

فالمخاطر على الإنسانية جد محدقة، وهي تتحدى الإنسانية جمعاء وما على هذه الأخيرة سوى التصدي لها.

ويمكن القول: إن التصدي للمخاطر المحدقة بالإنسانية لا يتحقق إلا إذا تحققت المشاركة الجماعية للبشر، وهذه المشاركة تقتضي تأسيس لمنطق الحوار الإنساني للتحسيس أولا بطبيعة المشكلات وخطورتها ثم التصدي لها ثانيا بالحلول المناسبة لها.

عوائق الحوار:

- انعدام ثقافة الحوار داخل الأسرة وبين مختلف الشرائح الاجتماعية.
- سيادة ثقافة اللاحوار والعنف داخل المجتمعات العربيه الإسلامية.
- غياب التربية الحوارية باعتبارها وسيلة أو آلية في تحقيق ثقافة الحوار وانعدامها من المحتويات الرسمية لأعداء الشخصية وبناءها من حسن اختيار المناهج الرسمية الجادة للمحافظة على التنشئة الاجتماعية والسياسية.
- سيادة منطق القوة في إدارة العلاقات الدولية وغياب مبادئ التنظيم الدولي.

اقتراحات حلول لإنجاح النموذج الحواري الإسلامي:

- إن نجاح الحوار الحضاري (النموذج الحواري الإسلامي) يقتضي أن يكون المحاور سواء على المستوى الرسمي أو على المستوى العادي (غير الرسمي) مساويا أو موازيا على الأقل للطرف الآخر.

بمعنى إذا افترضنا أن أطراف العلاقة الحوارية هما: الإسلام والغرب فإن الحوار مع هذا الأخير الذي يتسم بنزعة التعالي والعنصرية يجب أن يقابله المسلمون بالإجابة عن التحدي وذلك من خلال الإبداع الحضاري وليس بالضعف والانقياد والتمتع بمنتجات الحضارة. وبذلك يصبح النموذج الحواري الإسلامي ممكنا ومطبقا في الواقع.

• البحث عن القيم المشتركة بين الثقافات و الحضارات أو الديانات لإنجاح عملية الحوار الرسمي بين الدول والشعوب وتجنب ثقافة السيطرة والتملك.

• تفعيل مقترحات النخب المثقفة وعرضها على القرارات السياسية على المستوى المحلي أو على المستوى الدولي.

• تدعيم المكتسبات الديمقراطية المحققة على المستوى الداخلي أو المحلي وذلك من خلال ضمان حرية الرأي وحرية التعبير واستقلالية الإعلام ووسائله المختلفة.

• تحسين وتنوير الرأي العام المحلي والدولي بأهمية الحوار في حل المشكلات المختلفة سواء كانت الاجتماعية أو السياسية أم الثقافية.

• تولي الدولة وأجهزتها ومؤسساتها الإهتمام بمسألة الحوار، وذلك من خلال إمكانياتها وسلطتها وإرادتها وليس من خلال تبنيها له فقط. فالملاحظ أن هذه المناسبات والمنابر العلمية والأكاديمية النخبوية سرعان ما تفتقد تأثيرها في الواقع.

• التمكين للحوار القرآني لتحقيق التواصل وحل مختلف المشاكل بين البشر وبين الدول بالطرق السلمية والودية.

• غرس ونشر ثقافة الحوار والتعايش السلمي والأخوي في سلوك الأفراد وذلك من خلال المناهج الدراسية واختيار الأساليب التربوية اللائقة حتى يتعود الناشئ على السلوك الحواري الحضاري الحميد.

• تطهير مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية من مظاهر وملامح الثقافة الجانحة أي ثقافة التهميش والإقصاء.